دوافع الصراع العثماني – الفارسي على العراق في العهد الصفوي

الاستاذة الدكتورة رجاء حسين حسني الخطاب
قسم التاريخ في كلية الآداب – جامعة بغداد

ان نشأة الدولة العثمانية سنة ١٢٩٩م شمال غرب الاناضول على حدود الامبراطورية البيزنطية حيث استولت فيما بعد على املاك هذه الامبراطورية وفرضت سيطرتها على الاناضول وأصبحت امبراطورية واسعة الارجاء [١] واعتمدت في توسعها على اعلان الجهاد لنشر الديانة الاسلامية في اوربا فاتجه العرب والمسلمون لمساندة الدولة العثمانية من أجل الفتوحات بنشر الديانة الاسلامية في اوربا .

عندما توقفت الدولة العثمانية أمام أسوار فينا [٢] أدركت الدولة العثمانية في القرن السادس عشر ان التوجه الاوربي نحو الشواطئ العربية يستهدف تطويقها . وان التعاون الاوربي الصفوي ينحو هذا المنحى . فاتجهت نحو اقطار الوطن العربي فبذلك غيرت استراتيجيتها . وتوجهت نحو المناطق الاسلامية التي من الممكن ان تمنحها مكانة دينية [٣] .

فكرت الدولة العثمانية بالسيطرة على بلاد الشام ومصر لان من يحكم مصر له حق حماية الحرمين الشريفين مكة والمدينة وبذلك يكسب موقعا سياسيا وعسكريا ودينيا

---

(١) جابر ابراهيم الراوي ، الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية-الايرانية ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص ٢١٧ ؛ ابراهيم خليل احمد وخليل علي مراد ، ايران وتركيا دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر ، الموصل ، ١٩٩٢ ، ص٢١٩ .

(٢) خالد العزي ، اضواء على التطور التاريخي للنزاع العراقي الفارسي حول الحدود ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص٥١ ؛ رجاء حسين حسني الخطاب ، تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، مخطوط ص ٦ .

(٣) رجاء حسين حسني الخطاب ، تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، ص ٦ .

في ان واحد . كذلك فكرت الدولة العثمانية بالسيطرة على العراق الذي يعد مركز للحضارة العربية الاسلامية في العهد العباسي . فاذا سيطرت على العراق فانها ستحرز على مركز ديني مهم اضافة الى ثقلها السياسي والعسكري .

وهكذا يمكننا القول ان الدولة العثمانية استفادت من الدين الاسلامي لخدمة مصالحها [٤] . وبالاضافة الى هذا فاننا نلاحظ انه قبل تغيير ستراتيجيتها كان هناك نوع من التوازن الدولي بين الدول الاسلامية الثلاث .

(١) الدولة العثمانية التي كانت تحاول السيطرة على اوربا والتي اتخذت من الجهاد أساسا للتوسع بهدف نشر الديانة الاسلامية في اوربا .

(٢) المماليك وكانوا يسيطرون على بلاد الشام ومصر ولهم حق حماية الحرمين الشريفين .

(٣) بلاد فارس التي كانت عبارة عن قبائل متعددة تسودها الفوضى وامراء يتنازعون فيما بينهم على السلطة وكوارث حلت في البلاد نتيجة الحملات التي قام بها التيموريون والقرة قوينلو والاق قوينلو واصبح الوضع السياسي قلق والسلطة تنتقل بين امراء القبائل المتنافسة . واستطاع اسماعيل الصفوي من السيطرة على الوضع السياسي في فارس . وتمكن من تأسيس الدولة الصفوية سنة ١٥٠١ م [٥] . التي تعتبر بداية التاريخ الحديث لبلاد فارس [٦] . والصفويون يمثلون قبائل تركية تعرف باسم القول باش وحمر الرؤوس وهي قبائل سبعة سكنت عند الشاطئ الجنوبي لبحر قزوين والى الغرب من خراسان واهم هذه القبائل ذوالقدر والقاجار والافشار [٧] .

---

(٤) رجاء حسين حسني الخطاب ، تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، ص ٧ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٧ .

(٦) نفس المصدر ، ص٧ ؛ انظر ايضا زكي الصراف ، المقالة الصحفية في الادب الفارسي المعاصر ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص٢٢ .

(٧) رجاء حسين حسني الخطاب ، تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، ص٧ .

وبتولي السلطان سليم الاول عرش الدولة العثمانية سنة ١٥١٣ قرر تغيير ستراتيجية الدولة العثمانية بالتوجه نحو المشرق واتخذت الدولة سياسة عنيفة فيما يتعلق بمشاكلها الخارجية . وكانت لشخصية السلطان سليم الاول اثر كبير في رسم السياسية الخارجية بهذا الطابع [٨] . وقد اخل هجومه الناجح على دولة الصفويين في جالديران ١٥١٤ م [٩] بسياسة توازن القوى بين الدول الاسلامية الكبرى الثلاث :

(١) الدولة العثمانية .

(٢) الدولة المملوكية .

(٣) الدولة الصفوية .

لصالح الدولة العثمانية [١٠] . فأخذت كل من الدولتين الصفوية والمملوكية بالتفاوض سرا ضد الخطر العثماني المشترك . في نفس الوقت الذي كان فيه المماليك يقطعون خطوط الامدادات العثمانية المارة بالأراضي الخاضعة لنفوذهم . وزاد من تدهور الموقف وقوع عدد من الرسائل المتبادلة بين الصفويين والمماليك بيد السلطان العثماني سليم الأول فكان ان قرر سليم الاول اتخاذ موقف عسكري حاسم . تمثل بالقضاء على الدولة المملوكية بفتح بلاد الشام ومصر وبذلك فرض السلطان العثماني سيطرته على الحجاز . وفرض حمايته على الحرمين الشريفين مكة والمدينة [١١] .

بعد القضاء على الدولة المملوكية بدأ الصراع العثماني الفارسي بالسيطرة على العراق واتخذ من الاختلاف المذهبي كذريعة لهذا الصراع . وخاصة بعد ان أعلن الشاه اسماعيل الصفوي حين جلوسه على عرش تبريز عام ١٥٠١ اقرار مذهب الشيعة

---

(٨) جابر ابراهيم الراوي ، الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الايرانية ص ٢٢٨ ؛ خالد العزي ، المصدر السابق ، ص٥٢ .

(٩) رجاء حسين حسني الخطاب ، تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، ص١٤١ ؛ مجموعة مؤلفين ، الصراع العراقي الفارسي ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ٢١٠ .

(١٠) رجاء حسين حسني الخطاب ، تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، ص ١٢٢ .

(١١) رجاء حسين حسني الخطاب ، التنافس الفارسي- العثماني على العراق في العهد الصفوي والقاجاري ، ص١٤١ .

الامامية مذهبا رسميا بجميع ايران [١٢]. فلما قيل له ان أكثر أهل ايران سنيون على مذهب الامام الشافعي قال : (انني لا اخاف من احد . . . فان نطق الرعية بحرف واحد فسوف امتشق الحسام ولن اترك أحدا على قيد الحياة) [١٣] .

أثار هذا الاعلان حفيظة العثمانيين الذين كانوا يعتنقون المذهب السني [١٤] . وكانت كل من الدولة العثمانية والصفوية تطمع في السيطرة على العراق . فانقض الشاه اسماعيل الصفوي أولا على العراق سنة ١٥٠٨م واخضعه للسيطرة الصفوية [١٥] . بادئا بذلك سلسلة من الازمات المذهبية التي عانى ولا يزال يعاني منها العراق . وكانت قسوة الشاه اسماعيل الصفوي على أهل العراق (السنة منهم) سببا في طلب السلطان العثماني سليم الأول باعتباره صاحب السيادة القانونية على جميع دار الاسلام لانقاذهم من الاضطهاد المذهبي فلبى السلطان العثماني هذا النداء لدوافع مذهبية ولاهداف سياسية واستطاع ان

---

(١٢) حسين محمد القهواني ، تاريخ العراق بين الاحتلالين العثماني الاول والثاني ، دراسة في الأحوال السياسية رسالة ماجستير قدمت الى كلية الاداب سنة ١٩٧٥ ، ص٣٢ ؛ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، الجامعة المستنصرية قسم الدراسات الاسيوية والافريقية ، دراسات عن ايران ، ج٢ ، بغداد ١٩٨٣ ، ص١٧ وسارمر له دراسات عن ايران ؛ محمد وصفي ابو مغلي ، ايران دراسة عامة ، البصرة ١٩٨٥ ، ص٢٤٦ ؛ جابر ابراهيم الراوي ، الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية – الايرانية ، ص٢١٧ .

(١٣) محمد وصفي ابو مغلي ، المصدر السابق ، ص٢٤٦ .

(١٤) دراسات عن ايران ، ج٢ ، ص١٠٧ .

(١٥) عبد العزيز نوار ، المصالح البريطانية في انهار العراق ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص١٠ ؛ جابر ابراهيم الراوي ، الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الايرانية ، ص٢١٨ ؛ قاسم الموسوي ، تاريخ الحقد الفارسي على العرب ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٨٢ ؛ المستر ستيفن همسلي لونكريك ، ترجمة جعفر خياط ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٣١ .

يهزم الشاه اسماعيل الصفوي في معركة جالديران ١٥١٤ وان يستولي على قسم من العراق [١٦] .

كانت هزيمة الصفويين في جالديران ايذانا بسقوط العراق بايدي العثمانيين . ولقد حاول الصفويون وخاصة في عهد الشاه طهماسب الذي حكم (١٥٢٤ – ١٥٧٦) عقد سلسلة من المحالفات السياسية والعسكرية مع الدول الاوربية ضد الدولة العثمانية . فارسل سفراءه الى ملك المجر والى الامبراطور شارل السابع (امبراطور النمسا) يقترح عقد حلف هجومي دفاعي ضد الدولة العثمانية . ولكن لم يفلح في تحقيق ذلك [١٧] . الا انه نجح في عقد محالفات مع الدولة الرومانية المقدسة والبرتغال [١٨] . في حين استغلت الدولة العثمانية فرصة موت الشاه اسماعيل الصفوي عام ١٥٢٤ م واضطراب أوضاع ايران بعده فدفعت بالقبائل التركمانية والكردية للثورة على الشاه . وفي عام ١٥٢٧م جرت أول محاولة بغدادية للانضمام الى الجانب العثماني ، حينما انتهز ذوالفقار بك بن علي اخو ابراهيم خان موصلو حاكم بغداد من قبل الصفويين (وهو من عشيرة موصلو) فرصة خروج اخيه للاصطياف فقتله ، ثم دخل بغداد ، وأعلن نفسه واليا عليها وعلى اطرافهاوبهذا قد اعلن استقلاله عن الصفويين [١٩] .

أخذ ذو الفقار بالتقرب الى الدولة العثمانية . حتى قيل انه ضرب النقود باسم السلطان سليمان القانوني وارسل اليه السفراء ومفتاح بغداد اعلانا عن دخول العراق تحت السيادة العثمانية ، ولم ترضي هذه الاعمال طهماسب الصفوي فلذلك توجه بجيشه سنة ١٥٢٩م الى بغداد ، فاحتلها وقتل ذوالفقار ، وعين بدله محمد سلطان شرف الدين تكلو .

---

(١٦) عبد العزيز نوار ، المصدر السابق ، ص١٠ ؛ جابر ابراهيم الراوي ، الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الايرانية ، ص ٢١٨ .

(١٧) محمد وصفي ابو مغلي ، المصدر السابق ن ص٢٤٨ .

(١٨) رجاء حسين حسني الخطاب ، التنافس الفارسي– العثماني على العراق في العهد الصفوي والقاجاري ، ص١٤١ ؛ حسين محمود القهواتي ، المصدر السابق ، ص٨٥ .

(١٩) رجاء حسين حسني الخطاب ، التنافس الفارسي–العثماني على العراق في العهد الصفوي والقاجاري ، ص١٤٢ .

الا ان قبيلة تكلو التركمانية التي ينتمي اليها الأخير سرعان ما مالت الى جانب العثمانيين ، عند وصول انباء تحرك جيش السلطان سليمان القانوني نحو العراق سنة ١٥٣٤م [٢٠] . فاضطر والي المدينة المذكور الفرار الى الشاه الصفوي تاركا جنده لينظموا الى السلطان العثماني . وهكذا دخل السلطان سليمان القانوني بغداد في ٣٠ كانون الاول سنة ١٥٣٤ دون قتال ولم يسمح لجيشه بدخولها حفاظا لحسن علاقته بأهلها [٢١]. وعلى أثر ذلك عقد سليمان القانوني معاهدة صلح بين الدولتين . نص فيها على ان تكون العراق خاضعة لسيادة الدولة العثمانية . بالاضافة الى مناطق اخرى كانت تابعة للدولة الصفوية [٢٢] ولقد كان تخلي الصفويون عن العراق مجرد اذعان للقوة فعندما سنحت الفرصة المناسبة بإنشغال الدولة العثمانية في امور الحرب في الغرب تقدم الشاه طهماسب على رأس جيش واحتل اذربيجان حتى وصل الى ارضروم . ولما علم السلطان سليمان القانوني بذلك تقدم على راس جيش جرار لصد الجيش الصفوي ، ولكن الشاه بدلا من ان يقبل المعركة تشبث بالصلح فعقدت معاهدة اماسيا في ١٠ مايس ١٥٥٥م حيث بقيت بغداد تابعة للدولة العثمانية وتعد هذه المعاهدة اول معاهدة مكتوبة وقعت بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية . أما ما كان قبلها من اتفاقات تعقب الحرب بين الدولتين فليس الا هدنة يلقون فيها السلاح مؤقتا لاسباب تتطلبها ظروف الدولتين [٢٣] .

ابتدأ الصراع يتخذ بعدا ايدلوجيا عندما أخذ الصفويون بنصيحة اوربا في الاقتراق الايدلوجي عن الدولة العثمانية وايجاد مبرر لمحاربتها وقد لعب الامبراطور جارلس

---

(٢٠) رجاء حسين حسني الخطاب ، التنافس الفارسي- العثماني على العراق في العهد الصفوي والقاجاري ، ص١٤٢نفس المصدر ، ص١٤٢ .

(٢١) نفس المصدر ، ص ١٤٢ ؛ سبعاوي ابراهيم الحسن ، العدوان الايراني والمواقف الدولية والعربية تجاه العراق ، بغداد -١٩٨٩ ، ص ١٥ .

(٢٢) جابر ابراهيم الراوي ، الغاء الاتفاقية العراقية الايرانية لعام ١٩٧٥ في ضوء القانون الدولي ، بغداد ١٩٨٠ ، ص١٠ وسارمز له جابر ابراهيم الراوي ، الغاء الاتفاقية العراقية - الايرانية لعام ١٩٧٥ .

(٢٣) نفس المصدر ، ص ١١ .

الخامس (١٥٠٠ – ١٥٥٨م) امبراطور اسبانيا والامبراطورية الرومانية المقدسة دور كبير في تحريض الفرس لبذل الجهد لاستعادة الاراضي التي خسرها الفرس امام سليمان القانوني في الفترة ما بين (١٥٣٤ – ١٥٣٦م) . ومنذ ذلك الوقت أخضع الصفويون الدين للسياسة واخذ طابع الانقسام والتمسك بتفاصيل تصنع الانقسام . لقد وجدت اوربا ضالتها في هذا التوجه الصفوي وعززته بكل الوسائل [٢٤] .

لقد أجج العثمانيون والصفويون الحروب لكنهم ابتعدوا بها عن أراضيهم وجعلوا العراق ميدانها . وعلى مدى المرحلة الممتدة من ١٥٠٨ م الى الفترة المعاصرة [٢٥] . قطع الزحف الفارسي باتجاه الحدود الشرقية للوطن العربي شوطا كبيرا نستطيع ان نلاحظ فيه سمتين أساسيتين :

(١) ممارسة العمل العسكري في القطاع الشمالي والاوسط من الحدود في ولايتي شهرزور وبغداد [٢٦] .

(٢) دفع العسائر الفارسية واللورية باتجاه الحدود العراقية . ودفعوا قبائل المنطقة من العرب ولاسيما بنو لام باتجاه الغرب ليحلوا محلهم في المنطقة كلها ما بين بدرة والطيب شرقا كما قامت بدفع القبائل الفارسية باتجاه شط العرب عن اقليم الاحواز ودفع بعض الفرس للهجرة الى الشاطئ الغربي للخليج العربي [٢٧] .

بعد مقتل الشاه الصفوي طهماسب عام ١٥٧٦ [٢٨] . اصبحت فارس في فوضى نتيجة لتولي اولاده السلطة بالتعاقب ، والذين لم يكونوا يتمتعون بنفس المقدار في الكفاءة التي كان يتمتع بها الشاه طهماسب فاستغل السلطان العثماني سليم الثاني تلك الفوضى وارسل جيشا بهدف الاستيلاء على بعض المناطق وضمها للدولة العثمانية

---

(٢٤) نزار عبد اللطيف الحديثي ، العلاقات العربية – الفارسية دراسة تاريخية ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص٢٨ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص٢٩ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص٢٩ .

(٢٧) نفس المصدر ، ص٣٢ .

(٢٨) محمد وصفي ابو مغلي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٨ .

واستمرت هذه الاضطرابات والحركات ما يقرب من ثلاث عشرة سنة ثم عقدت معاهد بين الدولتين في ٢١ آذار سنة ١٥٩٠م حصلت الدولة العثمانية بموجبها على بعض المناطق الجديدة[٢٩] (١) . ثم وقعت الحرب بينهما من جديد ودامت ثلاث سنوات انتهت بعقد معاهدة صلح سنة ١٦١٣م ونتيجة لتجاوز الشاه عباس على كردستان أرسل السلطان العثماني جيشا لاخضاع الشاه وفي مواجهة مع هذا الجيش طلب الشاه الصلح . فتم عقد معاهدة صلح في ٢٦ ايلول سنة ١٦١٨م . حيث عقدت في سهل سراو الذي سميت المعاهدة باسمه . على ان تكون المعاهدة السابقة –التي عقدت في عهد السلطان سليمان القانوني في اماسيا سنة ١٥٥٥م أساسا لهذه المعاهدة (٣٠) .

ان العراق ظل ميدانا للصراع ما بين الدولتين العثمانية والفارسية متجاهلتين ارادة الشعب العراقي . وفي سنة ١٦٢٣ انتهز الشاه عباس الأول (٣١) . فرصة تمرد وقع

---

(٢٩) جابر ابراهيم الراوي ، الغاء الاتفاقية العراقية – الايرانية لعام ١٩٧٥ ، ص١٠-١١ ؛ علاء موسى كاظم نورس ، الصراع العراقي الفارسي ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص٢١١ .

(٣٠) جابر ابراهيم الراوي ، الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الايرانية ، ص٢٢٠ علاء موسى كاظم نورس ، الصراع العراقي الفارسي ، ص٢١١ .

(٣١) علاء موسى كاظم نورس ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، دراسة تاريخية ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٥ ؛ عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٤ ، بغداد ، ١٩٤٩ ، ص٧٧ ؛ لقد اخطأت بعض المصادر في ذكر اسم الشاه فبدل ذكر الشاه عباس الاول الذي حكم من ١٥٨٧-١٦٢٩ أي حكم ٤٢ سنة ذكروا الشاه صفي الذي تولى العرش بعد عباس (سام ميرزا بن صفي مرزا) بتوصية من جده في ٢٠ جمادي الثانية ١٠٣٨هـ المصادف ١٦٢٩ م واتخذ الملك الجديد لقب شاه صفي وكانت مدة حكمه ١٣ عاما . انظر محمد وصفي ابو مغلي ، المصدر السابق ص ٢٥١ وص٢٥٤؛ رجاء حسين حسني الخطاب ، تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، ص١٠ . لقد ذكر الدكتور جابر ابراهيم الراوي في الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الايرانية في ص٢٢٠ (ثم أصبح العراق تابعا للدولة الصفوية سنة ١٦٢٣م نتيجة لتقدم الشاه [صفي في بهادر] نفسه بجيش الى بغداد واحتلها وقتل واليها) ، وذكر= =أيضا نفس المؤلف في مؤلفه (الغاء الاتفاقية العراقية – الايرانية لعام ١٩٧٥

الحامية العثمانية في بغداد قام به بكر صوباشي وزحف بقواته الى العراق وتمكن من احتلال بغداد بعد مقاومة ضارية . ويروى ان القوات الفارسية قتلت الكثير من السكان وان من سلم من القتل لم يسلم من التعذيب وان العديد منهم ارغموا على ترك بيوتهم . واضطهد الفرس اهالي بغداد وانعدم الامان (٣٢) .

وفي سنة ١٦٢٥ جرت المحاولة الاولى لطرد الفرس ، وذلك لان طموح البلاط العثماني كان ملحا في استعادة بغداد . وقد اسفرت اولى العمليات العسكرية التي دارت في شهرزور عن ايقاع الهزيمة بالفرس وتصفية نفوذهم هناك . وواصلت القوات العثمانية التي كانت بقيادة الصدر الاعظم احمد باشا تقدمها باتجاه بغداد فاثار ذلك ذعر القيادة الفارسية التي سارعت بارسال الامدادات . وتحرك الشاه عباس بجيشه من اصفهان غير ان طلائع الجيش الفارسي هزمت وفرض الحصار على بغداد (٣٣) . وخلال مدة الحصار التي دامت تسعة اشهر . جرت مفاوضات بين الطرفين لم تسفر عن شيء . ولما كانت

في ضوء القانون الدولي في ص١١ ما يلي : (وفي سنة ١٦٢٣ تقدم الشاه صفي بهادر على رأس جيش الى بغداد فاحتلها وقتل واليها العثماني) . والظاهر ايضا هناك اختلاف ربما مطبعي حيث ذكر في الرواية الاولى (صفي في بهادر) والرواية الثانية (صفي بهادر) والروايتين خطا لان الصحيح ان الشاه عباس الاول هو الذي قاد الجيش في ١٦٢٣ ووقع بنفس الخطأ الذي وقع به جابر ابراهيم الراوي الدكتور خالد العزي في مؤلفه الموسوم ، اضواء على التطور التاريخي للنزاع العراقي الفارسي حول الحدود في ص ٥٥ حيث ذكر (. . . فقد تقدم الشاه (صفي بهادر) نحو بغداد واحتلها في عام ١٦٢٣م ...) والظاهر ان د. جابر ابراهيم الراوي اعتمد على ستيفن همسلي لونكريك ، أربعة قرون في تاريخ العراق الحديث ، الطبعة الثالثة ترجمة جعفر خياط ، ص٤٢ ، أما الدكتور خالد العزي فلم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه .

(٣٢) علاء موسى كاظم نورس ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص٥٠ ؛ خالد العزي ، المصدر السابق ، ص٥٧ ؛ مجموعة مؤلفين ، الصراع العراقي الفارسي ، ص٢١٢ .

(٣٣) علاء موسى كاظم نورس ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص٥١ ؛ ياسين عبد الكريم ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص١٩٤ .

القوات العثمانية غير مستندة الى مدفعية كافية ولا مجهزة بالذخيرة اللازمة فان الحملة انتهت بالخيبة وتراجعت القوات عن بغداد [٣٤] .

وقد قضت الاضطرابات الداخلية التي تمر بها الدولة العثمانية في تلك الحقبة . ان تنصرم أعوام ثلاث دون ان تظهر علامات الاستعداد ثانية للزحف نحو بغداد التي كانت ترزح تحت كابوس الاحتلال الفارسي [٣٥] . وفي سنة ١٦٢٩م شهد العراق مرة اخرى مواجهة عسكرية بين الطرفين . وتمكنت القوات العثمانية من تطويق بغداد والضغط على الحامية الفارسية الا ان خطة الحصار الذي دام اربعين يوما خابت ثانية [٣٦] . وتم التراجع عن بغداد بصورة منتظمة ودون ان يتمكن الفرس من أعاقته ويعزى سبب الاخفاق الى ان القوات العثمانية كانت قد استنفذت معظم عتادها في العمليات العسكرية التي قامت بها في الاراضي الفارسية قبل ان تتوجه الى هدفها بغداد حيث هاجمت همدان واقتربت في تقدمها من مدينة قزوين كما ان قواها قد انهكت في الشهور العديدة التي قضتها في الجبهة الشرقية [٣٧] .

وفي سنة ١٦٣٨م تحرك السلطان العثماني مراد الرابع الى بغداد عن طريق الموصل [٣٨] . وعند وصوله بغداد اتخذ مواقعه في مواجهة اسوارها . وخلال الايام الاولى من القتال تمت عملية الأطباق الكلي على الحامية الفارسية . واشتد الهجوم على جميع مواقعها القائمة عند ابوب بغداد الأربعة . ورفض السلطان العثماني طلبا لعقد الصلح تقدم به الشاه صفي عن طريق مبعوث خاص [٣٩] . وقد تواصل القتال الضاري بين الطرفين

---

(٣٤) علاء موسى كاظم نورس ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص٥١ .

(٣٥) نفس المصدر ، ص٥١ .

(٣٦) نفس المصدر ، ص٥١ ؛ ياسين عبد الكريم ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص ١٩٤ ؛ مجموعة مؤلفين ، الصراع العراقي الفارسي ، ص٢١٤ .

(٣٧) علاء موسى كاظم نورس ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص٥٢ .

(٣٨) محمد وصفي ابو مغلي ، المصدر لاسابق ، ص٢٥٥ ؛ ياسين عبد الكريم ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص١٩٥ .

(٣٩) علاء موسى كاظم نورس ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص٥٤ .

اربعين يوما . حيث اعلن القادة الفرس الاستسلام وتم الاستيلاء على بغداد في ٢٥ / كانون الأول / ١٦٣٨ م بعد ان حكمها الفرس خمسة عشر عاما (٤٠) . وبعد ان اسند السلطان حكم المدينة الى حسن باشا الصغير اغا الانكشارية ووضع حامية مؤلفة من ثمانية.الاف جندي . ترك بغداد في شباط ١٩٣٩ عائدا الى عاصمته (٤١) .

ان هزيمة الفرس قادت بالنهاية الى عقد معاهدة صلح وتحديد للحدود بين الدولتين في ١٧ مايس ١٦٣٩م عرفت بمعاهدة زهاب (٤٢) . وقد شكلت نصوصها أساسا من اسس المعاهدات التالية . وتبين من دراستها ان النفوذ الفارسي غربي جبال زاغروس قد زال وبقي في شرقيها فقط وانها عينت الحدود بين الدولتين على قاعدة مناطق حدود وليس على اساس خط للحدود (٤٣) .

(٤٠) محمد وصفي ابو مغلي ، المصدر السابق ، ص٢٥٥ ؛ علاء موسى كاظم نورس ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص٥٢ ؛ ياسين عبد الكريم ، نفس المصدر ، ص١٩٦ .

(٤١) علاء موسى كاظم نورس ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص٥٣ ؛ مجموعة مؤلفين ، الصراع العراقي الفارسي ، ص٢١٥ ؛ حسين محمد القهواني ، تاريخ العراق بين الاحتلالين العثماني الاول والثاني ١٥٣٤– ١٦٢٨م (٩٤١ – ١٠٤٨هجرية) دراسة في الأحوال السياسية ، رسالة ماجستير قدمت الى كلية الآداب بتاريخ ١٩٧٥ ، ص ٢١٦ والصحيح ١٦٣٨ ورد خطأ .

(٤٢) صدام حسين ، رغبتنا في السلام من موقع الاقتدار المبدئي العادل ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٩ . خالد العزي ، المدر السابق ، ص٥٦ ؛ جابر ابراهيم الراوي ، الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الايرانية ، ص٢٢٠ ؛ محمد وصفي ابو مغلي ، المصدر السابق ، ص ١٥٥ ؛ علاء موسى كاظم نورس ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص ٥٤ ؛ ياسين عبد الكريم ، نفس المصدر ، ص١٩٦ ؛ فصول من النزاع العراقي الايراني ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص٤٤ .

(٤٣) جابر ابراهيم الراوي ، الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الايرانية ، ص٢٢٠ .

ومما هو جدير بالذكر ان المعاهدة لم تتعرض لشط العرب على انه من مواضيع الخلاف بينهما . وفي هذا سند قوي بان شط العرب بضفتيه خضع بلا جدال لسيادة الدولة العثمانية [٤٤] . فهو اذن نهر داخلي عراقي وليس نهرا دوليا .

وجدير بالذكر ان هذه المعاهدة وغيرها من المعاهدات التي عقدت بين الدولتين العثمانية والفارسية تغلب عليها الطابع الديني . وهي صفة امتازت بها المعاهدات التي عقدت بين الدول التي تدين بالاسلام . فيذكر في ديباجة المعاهدة او في ختامها ايلت بينات من القران الكريم او السنة النبوية المختارة بما تتناسب وطبيعة الظروف التي عقدت في ظلها المعاهدة [٤٥] .

وردت في مقدمة المعاهدة الآية الكريمة (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم) وتعهد الطرفان الالتزام ببنود المعاهدة . وسيقع على المخالف اثم عظيم وانه مسؤول أمام الله [٤٦] .

وتقرر ان تكون حدود جصان وبدرة ومندلي ودرنه من توابع ولاية بغداد الى المحل المعروف سرفل وتكون الأراضي الواقعة بين المحل المذكور والمدن المشار اليها أعلاه تابعة للدولة العثمانية . وتكون جميع القرى الواقعة غربي قلعة زنجبير تابعة للدولة العثمانية وكذلك تتبعها شهرزور [٤٧] وبالقرب منها تحتل القوات العثمانية الجبال المطلة على قلعة (ظالم علي) ويكون المضيق الضيق ٠الممر الجبلي (اوكلي) المتجه نحو شهرزور وقرية فزلجة (بنجوين) تابعة للدولة العثمانية [٤٨] . وتمتنع فارس من التدخل والتعرض لجميع القلاع . السهول (البقاع) والمقاطعات والأراضي والجبال والتلال

---

(٤٤) خالد العزي ، المصدر السابق ، ص٥٦ ؛ علاء موسى كاظم نورس ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص٥٤ .

(٤٥) جابر ابراهيم الراوي ، الغاء الاتفاقية العراقية الايرانية لعام ١٩٧٥ ، ص١٢ .

(٤٦) ياسين عبد الكريم ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص١٩٨ .

(٤٧) نفس المصدر ، ص١٩٧ ؛ فلاح شاكر اسود ، الحدود العراقية الايرانية دراسة في المشاكل القائمة بين البلدي ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص٧٠٦ .

(٤٨) ياسين عبد الكريم ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص١٩٨ .

الواقعة ضمن حدود اخسخة وقارص ووان وشهزور وبغداد والبصرة وغيرها التابعة للدولة العثمانية . وتعهدت فارس ايضا عدم تشجيع حركات التمرد في هذه الاماكن[٤٩]. كما تميزت هذه المعاهدة بالمميزات الآتية :

(١) انها اخذت بنظر الاعتبار العامل البشري عند تحديد الحدود حيث انها احترمت وحدة العشيرة بحيث لا تفصل تابعيتها الى دولتين بل الى دولة واحدة [٥٠] .

(٢) انها اخذت بنظر الاعتبار الظواهر الطبيعية في تحديد الحدود . فقد كانت الجبال والمرتفعات وما وراءها شرقا ودخلت ضمن حدود فارس اقصى الشمال حيث بحيرة وان حتى اقصى الجنوب في درنة وليست هناك سهول تتبع فارس مطلقا .

(٣) نصت المعاهدة على عدم تدخل فارس في ولاية البصرة وولاية بغداد التابعتين للدولة العثمانية .

(٤) تعني ولاية البصر المناطق السهلية الممتدة من القرنة شمالا حتى مصب شط العرب في الخليج العربي جنوبا [٥١] .

ان هذه المعاهدة مهمة جدا لانها حددت العلاقات العثمانية الفارسية لمدة ثمانين عاما . وهذا لا يعني ان المعاهدة حلت جميع المشاكل الحدودية وانهت اطماع كل من الدولتين في السيطرة على العراق وانما يعزى السبب الى انشغال الدولة الفارسية خلال هذه الفترة بمشاكلها الداخلية . وانشغال الدولة العثمانية بحروبها مع الدول الاوربية [٥٢] .

لقد كانت الدولة الصفوية قد وصلت الى ذروة قوتها في عهد الشاه عباس الكبير (١٥٨٧ – ١٦٢٩م) بدأت الدولة بالتدهور حتى اصبحت كانها بناء ضخم يوشك

---

(٤٩) ياسين عبد الكريم ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، ص١٩٧ .

(٥٠) جابر ابراهيم الراوي ، الغاء الاتفاقية العراقية الايرانية لعام ١٩٧٥ ، ص١٢ .

(٥١) نفس المصدر ، ص١٢ .

(٥٢) رجاء حسين حسني الخطاب ، التنافس الفارسي العثماني على العراق في العهد الصفوي والقاجاري ، ص ١٢ .

على الانهيار . اذ لم يكن خلفاء الشاه عباس الكبير بالحكام المقتدرين ويعزى السبب في ذلك الى الشاه عباس نفسه الذي ابتدع سياسة تقضي بجعل الوريث للعرش واخوته محصورين ضمن اسوار الحريم حيث عزلهم عن العالم الخارجي ولاينالون سوى قسط ضئيل من التعليم ولم يكن مباح لهم ان يتدربوا على فنون الحرب او حتى فنون الحكم داخل هذه الاسوار (٥٣) .

ان كلا من الشاه صفي (١٦٢٩ – ١٦٤٢م) وعباس الثاني (١٦٤٢ – ١٦٦٧م) وسليمان (١٦٦٧ – ١٦٩٤م) وحسين (١٦٩٤ – ١٧٢٢م) يمثلون انحلالا بائسا بالنسبة للسلالة الصفوية . فالشاه صفي ترك امور الدولة وانغمس في الملذات وقتل الغالبية العظمى من مستشاري جده الشاه عباس الكبير (٥٤) . وأصبح الوهن الذي أصاب الدولة في عهده يغري الاعداء من الخارج فكان سقوط بغداد في ايدي العمانيين سنة ١٦٣٨م (٥٥) . من الاحداث الرئيسة التي وقعت في عهده . وكذلك كان ابنه الشاه عباس الثاني وحفيده الشاه سليمان الذي فضل حياة الحريم على مسؤولياته كحاكم أعلى للبلاد . ولما قيل له ان العثمانيين يهاجمون بلاده أجابهم (انه لا يكترث لهجومهم على شرط ان يتركوا له العاصمة اصفهان) (٥٦) .

أما الشاه عباس الثاني فقد حاول في نهاية عهده اعادة الجيش الى كفاءته الاولى بعد ان أهمل الجيش الفارسي بعد موت الشاه عباس الكبير . وكان إهمال الجيش من بين

---

(٥٣) علاء نورس ، العراق في العهد العثماني ، دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠ – ١٨٠٠ م ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٧٢ وسارمز له علاء نورس ، العراق في العهد العثماني .

(٥٤) نفس المصدر ، ص ٧٣ .

(٥٥) محمد وصفي ابو مغلي ، المصدر السابق ، ص٢٥٥ ؛ علاء نورس ، العراق في العهد العثماني ، ص ٧٣ .

(٥٦) نفس المصدر ، ص٧٣ ؛ رجاء حسين حسني الخطاب ، التنافس الفارسي العثماني على العراق في العهد الصفوي والقاجاري ، ص ١٢ .

الاسباب التي أدت اى اضمحلال الدولة الصفوية اضافة الى سنوات السلام الطويلة التي بدات بعد إنتهاء الحروب العثمانية في سنة ١٦٣٩م (٥٧) .

كان لضعف عقل الشاه سليمان تاثير كبير في زيادة الاضطرابات في الدولة وخاصة في عهد الشاه سلطان حسين ففي عهده قام محمود بن ميرويس رئيس الطائفة الغلجائية الافغانية الذي استقل بحكم قندهار سنة ١٧٠٨ م . وقام بحملة قطع أبناء طائفته الافغان على ايران مستغلا ضعف الدولة الصفوية بسبب الخلاف الذي دب بين حكام الدولة الصفوية واندثار نواة الفكرة الاساسية التي قامت عليها الدولة وفساد البلاط وتدخل ام الشاه سلطان حسين في الشؤون العامة (٥٨) . كما شهد عهده عددا من الانتفاضات التي امتدت آثارها الى المدن والأرياف كما ثار العديد من القوميات من غير الافغانيين والقومية الفارسية ضد الحكام الصفويين وقد وضعت انتفاضة الافغانيين وغزوهم لايران في العام ١٧٢٢م نهاية للعهد الصفوي (٥٩) . ولم يدم حكم الافغان طويلا فقد تمكن نادر خان الافشاري من طرد الافغان ثم التوجه نحو الدولة العثمانية التي حاولت استغلال ظروف البلاد لاحتلال العراق وانتصر عليهم . وبذلك ارتفعت سمعته كثيرا . وفي عام ١٧٣٢م عزل الشاه طهماسب الثاني وعين ابنه عباس الثالث . وفي سنة ١٧٣٦م وبعد انتصاره على الدولة العثمانية اعلن نفسه شاها على ايران (٦٠) .

---

(٥٧) علاء نورس ، العراق في العهد العثماني ، ص ٧٤ .

(٥٨) رجاء حسين حسني الخطاب ، التنافس الفارسي العثماني على العراق في العهد الصفوي والقاجاري ، ص ١٣ .

(٥٩) المصدر السابق ، ص ١٣ ؛ علاء نورس . ايران منظور تاريخي للشخصية الايرانية ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٦٥ .

(٦٠) رجاء حسين حسني الخطاب ، المصدر السابق ، ص ١٣ ؛ عماد عبد السلام رؤوف . ايران منظور تاريخي للشخصية الايرانية ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٩٢ .

مصادر البحث :

١. ابراهيم خليل احمد وخليل علي مراد ، دراسة في التاريخ الحديث والمعاصر الموصل ، ١٩٩٢ .

٢. جابر ابراهيم الراوي ، الحدود الدولة ومشكلة الحدود العراقية الايرانية ، بغداد ١٩٧٠ .

٣. جابر ابراهيم الراوي ، الغاء الاتفاقية العراقية_الايرانية لعام ١٩٧٥ في ضوء القانون الدولي ، بغداد ، ١٩٨٠ .

٤. حسين محمود القهواتي ، تاريخ العراق بين الاحتلالين العثماني الاول والثاني ١٥٣٤ - ١٦٣٨ ، دراسة في الاحوال السياسية ، رسالة ماجستير قدمت الى كلية الآداب بتاريخ ١٩٧٥ (وهو مطبوعة بالرونيو) .

٥. خالد العزي ، أضواء على التطور التاريخي في النزاع العراقي الفارسي حول الحدود ، بغداد ، ١٩٨١ .

٦. رجاء حسين حسني الخطاب ، تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، مخطوط .

٧. رجاء حسين حسني الخطاب ، التنفس الفارسي العثماني على العراق في العهد الصفوي والقاجاري ، مخطوط .

٨. زكي الصراف ، المقالة الصحفية في الادب الفارسي المعاصر ، بغداد ، ١٩٧٨ .

٩. سبعاوي ابراهيم الحسن ، العدوان الايراني والمواقف الدولية والعربية تجاه العراق ، بغداد ، ١٩٨٩ .

١٠. المستر ستيفن همسلي لونكريك ، ترجمة جعفر خياط ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ، ١٩٨٥.

١١. صدام حسين ، رغبتنا في السلام من موقع الاقتدار المبدئي العادل ، بغداد - ١٩٨١ .

١٢. عباس العزاوي ،تاريخ العرق بين احتلالين ، بغداد ، ١٩٥٣ .

١٣. عبد العزيز نوار ، المصالح البريطانية في انهار العراق ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

١٤. علاء نورس ، العراق في العهد العثماني ، دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠-١٨٠٠ م ، بغداد ، ١٩٧٩ .

١٥. علاء موسى كاظم نورس ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، دراسة تاريخية ، بغداد ؛ ١٩٨١ .

١٦. علاء نورس ، ايران منظور تاريخي للشخصية الايرانية ، بغداد -١٩٨٣ .

١٧. علاء كاظم نورس وآخرون ، الصراع العراقي الفارسي ، بغداد ، ١٩٨٣ .

١٨. فلاح شاكر اسود ، الحدود العراقية-الايرانية ، دراسة في المشاكل القائمة بين البلدين ، بغداد – ١٩٧٠ .

١٩. قاسم الموسوي ، تاريخ الحقد الفارسي على العرب ، بغداد ، ١٩٨٠ .

٢٠. مجموعة مؤلفين ، فصول عن النزاع العراقي الايراني ، بغداد ، ١٩٨١ .

٢١. مجموعة مؤلفين ، الصراع العراقي – الفارسي ، بغداد ١٩٨٣ .

٢٢. محمد وصفي ابو منعلي ، ايران دراسة عامة ، البصرة ، ١٩٨٥ .

٢٣. نزار عبد اللطيف الحديثي ، العلاقات العربية _الفارسية ، دراسة تاريخية ، بغداد ، ١٩٨٢ .

٢٤. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، الجامعة المستنصرية ، قسم الدراسات الاسيوية والافريقية ، دراسات عن ايران ، ج٢ ، بغداد – ١٩٨٣ .

٢٥. ياسين عبد الكريم ، الحدود الشرقية للوطن العربي ، بغداد ، ١٩٨١ .